

تفسير ابن كثير

هذه السورة مفصلة عن التي قبلها في المصحف الإمام كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم لأن المعنى عندهما حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله لإيلاف قريش أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين وقيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله فمن عرفهم احترامهم بل من صوفي إليهم وسار معهم آمن بهم وهذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى : { أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم } ولهذا قال تعالى : { لإيلاف قريش * إيلافهم } بدل من الأول ومفسر له ولهذا قال تعالى : { إيلافهم رحلة الشتاء والصيف } قال ابن جرير : الصواب أن اللام لام التعجب كأنه يقول اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك قال وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان .

ثم أرشدكم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال : { فليعبدوا رب هذا البيت } أي فليؤحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما كما قال تعالى : { إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين } وقوله تعالى : { الذي أطعمهم من جوع } أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع { وآمنهم من خوف } أي تفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ومن عصاه سلبها منه كما قال تعالى : { ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون } وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد الله بن عمرو العدني حدثنا قبيص حدثنا سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [ويل لكم قريش لإيلاف قريش] ثم قال : حدثنا أبي حدثنا المؤمل بن الفضل الحراني حدثنا عيسى يعني ابن يونس عن عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال [سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف } ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف] هكذا رأيته عن أسامة بن زيد وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن أم

سلمة الأنصارية Bها فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية وإِ أَعلم آخر تفسير سورة
إِيلاف قريش وإِ الحمد والمنة